

الهولوكوست الفرنسي في الأغواط 04 ديسمبر 1852.

أ. عيسى بوقرين

جامعة عمار ثليجي بالأغواط

الملخص:

عرفت الجزائر خلال كفاحها ضد الاستعمار الفرنسي طيلة 132 سنة أنواع كثيرة من المجازر ارتكبت في حق سكانها و تعتبر هذه الجرائم جرائم حرب يعاقب عليها القانون و لا تسقط بالتقادم، و الأمثلة كثيرة، فقد شهدت فترة المقاومة مجزرة الظهرة سنة 1845 و مجزرة الزعاطشة 1848 و مجزرة الأغواط 1852 و شهد القرن العشرين أبشع المجازر في 8 ماي 1945 ثم المجازر التي ارتكبت أثناء الثورة.

نعالج في هذا المقال واحدة من أبرز المجازر التي ارتكبتها الجيش الفرنسي عند احتلاله الأغواط في 4 ديسمبر 1852 و ذلك بسقوط ثلثي سكانها أي حوالي 2500 شهيد عن طريق القتل بمختلف الأسلحة و حتى عن طريق الحرق، و قد خلت المدينة من كل سكانها و حولت إلى مركز عسكري، كما وصفها أحد الضباط الفرنسيين بأن ما حدث في المدينة يعتبر هولوكوست حقيقي بآتم معنى الكلمة

Summary:

In the course of its struggle against French colonialism, Algeria has known for many years, many kinds of massacres committed against its inhabitants. These crimes are considered war crimes punishable by law and are not subject to statute of limitations. There are many examples. The period of resistance witnessed the massacre of the Dhahra in 1845, Laghouat 1852 The twentieth century witnessed the worst massacres of 8 May 1945 and the massacres committed during the revolution.

We treat in this article one of the most prominent massacres committed by the French army in the occupation of Laghouat on 4 December 1852 and that the fall of two thirds of the population, or about 2500 martyrs by killing various weapons and even by burning, and the city has been evacuated from all its inhabitants and turned into a center Military, as one of the French officers described what happened in the city as a true holocaust with the full meaning of the word.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، فرنسا، الأغواط، المجازر، الهولوكوست

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

مقدمة:

فها هو "العقيد بان" يروي في كتابه رسائل عائلية (Lettres Familiales Sur L'Algérie) أنه أحصى ما لا يقل عن 2300 جثة منتشرة في الأزقة ، كما يروي "الجنرال دوبراي" في كتابه ذكرياتي (Mes Souvenirs) بكل فخر قتل النساء و الأطفال عشرة بعشرة حتى حفيت السيوف و كيف استحل الجنرال بليسي المدينة لجنوده لمدة أسبوع ، كما يعترف "دوبراي" بقتله لقاضي الأغواط ، ارتكبت فرنسا أبشع الجرائم ، فقد عاث الجنود الفرنسيون بالمدينة لأكثر من أسبوع ، كانوا ينتقلون من بيت الى بيت و يطلقون النار دون أي تمييز و ينهبون و يسلبون الأثاث و النقود و الحلي و يحرقون المؤن ، و لم تسلم حتى الكتب التي في الدور أو المساجد هذه الأخيرة التي دمر منها اثنان و حول الثالث الى اسطبل للحيوانات و حوّل الرابع الى كنيسة ، أما ما بقي من السكان ، فقد وضع لهم محتشد كبير عانوا فيه الجوع و المرض و المهانة - كأنهم حيوانات - و منهم من استطاع الفرار من الحصار خارج المدينة ، أما أكبر جريمة ارتكبتها القوات الفرنسية فهي جمعها لأعيان المدينة حيث وضعتهم في أكياس أغلقت عليهم ثم أحرقتهم قرب واد أمزي كما ألفت ما يقارب من 256 جثة في أبار هذه الجرائم المرتكبة يشهد بها الفرنسيون أنفسهم فها هو أحد الضباط المشاركين في الحملة يقول : " حمل جنودنا على البلدة من كل صوب

تعددت جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر منذ و طقت أقدامه ذات يوم من سنة 1830 ، و رغم العديد من الدراسات التي تناولت إظهار هذه الجرائم التي يمكن اعتبارها جرائم حرب لا تسقط بالتقادم في نظر القانون الدولي ، إلا أن الكثير منها بقي مجهولا و جب البحث فيه.

إن المتصفح لمذكرات قادة جيش الاحتلال لاشك سيقراً الكثير من اعترافات سفاحي فرنسا أمثال سانت آرنو (Saint-Arnaud) ، بان (Pein) ، بيليسي (Pillissier) ، لامورسيير (Lamoricière) ، دوبراي (Du) brail ، يوسف (Yussuf) ، الدوق دوروفيقو (duc de Rovigo) ...الذين تفننوا في استعمال شتى أنواع التعذيب و القتل و التدمير و الابداء عساهم في ذلك يحققون مجداً أو ينالون ترقية .

سنحاول من خلال هذا المقال أن نسلط الضوء على واحدة من أبرز الجرائم التي ارتكبتها المستعمر الفرنسي يوم 04 ديسمبر 1852 و يسميها أحد قادة الحملة الفرنسية على الأغواط بالهولوكوست فهي لا تقل عن مذبحه غار الفراشيش أو العوفية من حيث البشاعة.

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

الأغواط كل البيوت فارغة ، من أفقرها الى أغناها ، و تخالها مدينة رحل كل ساكنيها " .
هكذا قدمت هذه المدينة الذبيحة ثلثي 3/2 سكانها دفاعا عن الوطن

و بسقوطها فقد سقطت جزائر أخرى كما قال أحد الضباط الفرنسيين .

1/ ملحة تاريخية عن المدينة :

الأغواط واحة من واحات الجنوب الجزائري و التي تبعد عن العاصمة حوالي 400 كم، تقع جنوب الأطلس الصحراوي على الضفة اليمنى لواد مزي ، الذي يأخذ منبعه من جبل سيدي راشد بجبال العمور غربا¹ و يتجه مجراه نحو الشرق حيث يتغير اسمه إلى واد جدي بعد أن يعبر واحات الزيبان ، ويصب في شط ملغيغ .

ترتفع الأغواط بأكثر من 750 متر² عن سطح البحر و تعتبر بوابة الصحراء و مدخلا رئيسا لها لأنها تقع في الوسط ، وهي ملتقى القوافل التجارية من الشرق و الشمال و الغرب نحو الجنوب و العكس .

تشتهر الأغواط ببساتينها الكثيرة الغناء المنتشرة على ضفاف الوادي و تنتج الكثير من المحاصيل و يحيط بها صور منيع حتى سميت بالمدينة الحديقة أو مدينة البساتين³ .

..... لا يخامرهم أدنى تردد في الفتك لكل من يعترض سبيلهم أو يحاول مقاومتهم مستخدمين كل ما لديهم، و تم القضاء بالسلاح الأبيض على من تبقى من المقاومين".

و يقول مرة أخرى: " المجزرة كانت رهيبة و الأزقة مغطاة بالجنث كان الجنرال بيليسي في أتم الابتهاج و الفرح ، و على جماجم هؤلاء احتفل بالنصر ، حيث أفرشت الزرابي الفاخرة وسط المدينة و تناول عليها غذاءه و هنا ضباطه على انجاز المهمة ."

و مما جاء في مذكرات النقيب دوبراي أن الجنرال بيليسي اتخذ بعد المجزرة قرار بهدم المدينة و اقتلاع نخيلها و ترحيل من بقي من سكانها الى منطقة أخرى في الجزائر .

كما يصف الكاتب و الرسام الفرنسي فرومنتان في كتابه " صيف في الصحراء " (Un été dans Le Sahara) عند زيارته للمدينة بعد 06 أشهر من المعركة في صيف 1853 " بأنه وجد المدينة ما زالت تفوح في جنباتها رائحة الجنث المتعفنة ، و أن الكلاب تأتي ليلا لنهش أشلائها " ، و يواصل قائلا : " جميع الأملاك المصادرة وضعت مؤقتا في عهدة حارس قضائي ، أما فيما يخص تلك الغنائم العظيمة من السجاد و الأسلحة و الحلي فيمكن القول أنه لم يبق منها شيء في

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

2/ حملة ماري مونج (Marey Monge)

الاستطلاعية في منطقة الأغواط سنة 1844 :

كان الشيخ أحمد ابن سالم⁸ هو السيد المطلق في الأغواط ، لكنه كان خائفا من انتقام الأمير عبد القادر ، حينما هجم هذا الأخير قصر عين ماضي في سنة 1838 لذلك أبدى استعدادا للتعامل و التحالف مع الفرنسيين فاستجابت له السلطات الفرنسية⁹ لكونها تبحث عن مساعدة القوى المحلية هذه الأخيرة التي سهلت من مهمة التوغل الفرنسي في المنطقة ، و كان ذلك في شهر مارس سنة 1844 إثر الجولة التي قام بها الجنرال " ماري مونج "¹⁰ قائد منطقة المدية العسكرية رفقة قوة مؤلفة من 1500 جندي فأرسل أحمد ابن سالم أخيه يحيى بن سالم إلى الجنرال " مونج " فاستقبله وقدم له الولاء ، و طلب منه أن يمنحه منصب خليفة على الأغواط بقصورها الخمس و على كل الأرباع و الحرازية و بني ميزاب ، فأرسل الجنرال مونج تقريرا إلى المارشال "بوجو"¹¹ يتضمن هذا الطلب فكتب " بوجو " بدوره إلى وزير الحرب بفرنسا " المارشال سولت " ما يلي: " إن المناطق الأهلة في الصحراء هي ضرورة لسياستنا و تجارتنا، كما يجب أن نسود في كل مكان ساد فيه عبد القادر... و بسيطرتنا على هذه المناطق تنفتح لنا أفاق جديدة واسعة لازدهار تجارتنا و ربطها

و قد أشاد بمناظرها الخلابة العديد من الكتاب و الرسامين أمثال " أوجين فرومونتان "⁴ و "نصر الدين دينيه"⁵ وهي تحتوي على عدة قصور قديمة لم يتبق منها أثر في حين قصر الحويطة ، قصر الحيران ، تاجموت ، عين ماضي فهي ليست ببعيدة عنها.

أما عن تأسيس المدينة، فإن الوثائق التاريخية لم تحدد بالضبط تاريخ تأسيسها ، حيث كانت تسكنها قبائل زناتية اعتنقت الإسلام خلال القرن السابع الميلادي، ثم توافدت إليها مجموعات إسلامية من الشرق عن طريق الهجرة مثل بني هلال ، وتذكر بعض المراجع أن تأسيس الأغواط يرجع إلى السنوات الأولى من قدوم بني هلال إلى المنطقة في منتصف القرن 11 م⁶.

كما انضافت إليهم مجموعة من القبائل الأخرى كأولاد سالم الذين جاءوا من الجنوب الغربي الجزائري، بينما ترجح دراسات أخرى تاريخ تأسيسها إلى منتصف القرن التاسع الميلادي في حدود سنة 850 م حيث أسسها العرب المسلمون.

وقد اشتق اسم الأغواط كما ذكرنا سابقا من جمع غوطة التي تعني المساكن المحيطة بالبساتين بينما يذكر ابن خلدون أن الأغواط قبيلة بربرية و هي فرع من قبيلة مغراوة . و قد هاجرت هذه القبيلة منطقة الأغواط بعد وصول بنو هلال إليها و استوطنت البيض و هي التي تسمى بالأغواط أكسل⁷.

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

يجب معاملته معاملة خاصة حتى يخضع نهائيا للسلطة الفرنسية .

و عن هذه المهمة يقول أرنو : " انطلقنا على الساعة الثامنة صباحا رفقة عشرة ضباط و مائة و خمسة عشر رجلا يوفرون لنا الحماية ، دخلنا عين ماضي ، و شرحنا لأعيان القصر أننا جئنا كأصدقاء و أننا نوفر لهم الحماية و أن الفرنسيين أصبحوا أسيادا و لا أحد يمنعهم من دخول أي مكان يرغبون دخوله ... دخلت عين ماضي مع عشرة ضباط و ستة قناصة و بعض شيوخ القوم و تحولت في كل مكان...أما بالنسبة للتجاني فقد بقي في زاويته لا يريد مقابلة أحد من المسيحيين¹⁸ .

كاد العقيد "أرنو" أن يفشل في مهمته لتردد الشيخ التجاني في استقبله لكنه نجح في الأخير بعدما اقتنع الشيخ التجاني بحجج الوفد ، فقد قبل مقابلة " النقيب دوريو " المكلف بشؤون العرب و الذي طمأنه بأن نوايا فرنسا سلمية ، فرضي بعد تردد و دفع الضريبة و يعلق تروملي على هذه الزيارة بقوله : " لقد نجح أرنو في التعامل مع عين ماضي و أعطى صورة حسنة على بلاده ، فهي تعد غزوة حقيقية ، جعلت التجاني يدفع الضريبة " ¹⁹.

و يقدر تروملي الضريبة المدفوعة من قبل التجاني بألفين بدجو هذا المبلغ الذي أعاده الجنرال للتجاني في

بإفريقيا الداخلية، و نعمل على حرمان عبد القادر من مصادره في هذه الأماكن¹².

وافق الحاكم العام الفرنسي على الإجراءات المتخذة في هذا الشأن و أمر بتحضير بعثة استكشافية إلى الأغواط أوكلت قيادتها إلى الجنرال " ماري مونج " ¹³ و الذي كانت له دراية بالطريق الرابط بين المدينة و الأغواط ، فانطلق في أواخر شهر فيفري و وصل إلى بلدة طاقين¹⁴ في 14 مارس حيث مكث مدة يومين لينظم قواته و التي كانت تتشكل من 1500 جندي منهم 400 فارس من عدة قبائل و 140 من قناصة إفريقيا و 1400 جمل و التي استعملت لأول مرة لأغراض حربية¹⁵.

ثم انطلقت هذه الحملة في مسيرة لمدة أربعة أيام حيث وصلت بتاريخ 21 ماي 1844 إلى تاجموت و قد استقبلها أعيان الأغواط و على رأسهم أحمد بن سالم لكن الشيخ محمد الصغير التجاني (شيخ الزاوية التجانية) لم يحضر اللقاء لأنه كما يقول من عادته أنه لا يقابل الحكام أو من يطلب الدنيا و قد لقي ذلك تفهما من قبل الجنرال¹⁶ الذي بعث وفدا يضم بعض الضباط بالإضافة إلى شيوخ القوم و الدليل أحمد بن سالم بقيادة " العقيد سانت أرنو " ¹⁷ إلى عين ماضي على اعتبار أن الشيخ التجاني له شعبية كبيرة لدى سكان المنطقة و

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

مرتب قدر ب 18 ألف فرنك ، و 2500 فرنك لكل
أغا يعينه بالإضافة إلى أنه كون قوة مشكلة من 200
جندي مشاة و 20 فارس²² .

و بالتالي فإن هذا الاعتراف سيساعد الفرنسيين
حسب تقرير الجنرال مونج على:

* إخضاع كل سكان الجنوب و الغرب و حتى
الناشرين منهم.

* إرهاب السكان المواليين للأمير عبد القادر و الذين
يساندونه.

* جلب التجارة الداخلية نحو الجزائر العاصمة بدلا
من توجهها نحو المغرب و تونس²³.

أما السيطرة على الأغواط و تنظيمها فإن ذلك يعني :
* جعلها مركز تحرك عسكري، إداري، سياسي و
تجاري.

* قطع كل الاتصالات بين الشرق و الغرب و كل
تحرك في هذه المناطق يكون تحت أنظار فرنسا.

* وضع المنطقة الأكثر تمردا في الجزائر مع منطقة
أولاد سيدي الشيخ بين أيدي خليفة قوي يكون مدعما
بمنطقة وهران العسكرية²⁴.

3/ السياسة الفرنسية في المنطقة :

اليوم الموالي تعبيرا له عن الاحترام و الصداقة ، و بهذا
تكون فرنسا قد دشنت سياسة الاحتواء التي تقوم في
البداية على تحييد الزوايا و اكتساب صداقتها لتوظيفها
في خدمة الاستعمار لاحقا و بالفعل فقد أعفيت الزاوية
التجانية من دفع الضرائب بعد ذلك²⁰ .

ثم تحركت الحملة يوم 23 ماي و طافت عدة
مناطق محيطة بالأغواط منها قصر الحويطة في الجنوب
الغربي يوم 24 ماي ثم الأغواط نفسها يوم 26 و 27
ماي فقصر الحيران يوم 28 ماي و كان أحمد ابن سالم
هو دليل هذه الحملة ، و التي كانت عبارة عن مسح
عام و استكشاف للمنطقة و بعدها اعترف الجنرال
مونج بتعيين أحمد ابن سالم خليفة على الأغواط و
قصورها الخمسة في حفل أقيم خصيصا لذلك حضره
الضباط الفرنسيون و الشيوخ المحليين و قرئ مرسوم
التعيين باللغتين العربية الفرنسية و أطلقت طلقة
مدفعية²¹ رفع على إثرها العلم الفرنسي و سلم الخليفة
أحمد بن سالم راية الأمير عبد القادر التي انتزعها من
الخليفة السابق الحاج العربي إعلانا منه بخروج المنطقة من
سلطة الأمير و دخولها في تحت الحكم الفرنسي ، و قد
كان هذا التعيين للاعتبارات التالية : على أساس أنه
شخصية مرموقة و يمثل الضمان الكامل للنفوذ الفرنسي
في الأغواط ، و كذا لأنه عدو الأمير عبد القادر و
بذلك فقد أعطيت له صلاحيات الخليفة، فحدد له

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

زوج أشيخ (كذا) أنتاع الأحرار و شيخ أولاد شريف ،
باقين مع الحاج عبد القادر قط لم يكن معهم الجيش
...²⁷.

كما يذكر الدكتور واري في هذا الصدد : "..... يوم
6 جويلية وصلت رسالة الى معسكر جاء فيها أن الأمير
هاجم يوم 2 جويلية عين ماضي و استولى على
حديقتين محاطتين بالأسوار ، و أن الأمير خسر في هذه
القضية خمسة ضباط و الكثير من الخيالة و عرب
القبائل و أنه طلب إمدادات و مؤثا من البارود و
مدفعين²⁸.

أن مثل هذه الرسائل و التقارير تصب كلها في مدى
اهتمام فرنسا بالمنطقة و معاينة مواطن القوة و الضعف
و التي على ضوءها يمكن أن تعتمد استراتيجيتها للتوسع
فيها .

و من خلال الإجراءات الفرنسية المتخذة بات أحمد
ابن سالم السيد المطلق على المنطقة تحت حماية فرنسا
تسانده قوة عسكرية مقدرة ب 1200 جندي و
500 فارس و قطعة مدفعية واحدة و بدأت فرنسا
فعليا في تطبيق هذا المشروع لكن الأوضاع الخارجية لم
تسمح لها باستكمالها و عطلته عدة سنوات ، و تمثلت
تلك الأوضاع في النزاع الفرنسي المغربي و معركة "
أيسلي " سنة 1844 و آثارها لذلك اكتفت فرنسا
بدفع رواتب المجندين و خليفة الأغواط ابن سالم و

اهتمت السلطات الفرنسية منذ البداية بالصراع الدائر
بين الأمير عبد القادر و محمد الصغير التجاني ، فقد
حاولت إذكاء نار الفتنة بين الطرفين، و قامت
بمحاولات متكررة من أجل تفريق أبناء الوطن من خلال
" سياسة فرق تسد " خاصة لدى القيادة السياسية و
الروحية للمنطقة فقد أشاعت الخلاف بين الطريقة
القادرية و التجانية و أن الأمير قدم إلى المنطقة للقضاء
على التجانية حتى تكسب صفا على حساب آخر و
قد نجحت لأبعد الحدود و يمكن أن نستنتج ذلك من
خلال الكثير من المواقف :

* تقديم الحاكم العام الجنرال فالي ثلاث مدافع للأمير
- و إن كانت تدخل في إطار معاهدة التافنة في ظاهرها
- إلا أنها كانت للضغط على الأمير من جهة و إشعال
نار الحرب بين الأخوة من جهة ثانية.

* الاستعلام عن قوة الأمير و هذا من خلال الكثير
من المراسلات نذكر منها :

رسالة بعث بها أحمد المازري²⁵ ردا على طلب المارشال
كلوزيل²⁶ يقول فيها : "...نخبرك على الحاج عبد
القادر مازال في عين ماضي ، و عسكر الحاج عبد
القادر مدور البلاد بالعسة ... و نحو أربعة مائة من
عسكر الأرباع عند التجاني يحاربون معه و أما الأعراش
الذين كانوا مع الحاج عبد القادر كلهم افترقوا عليه ما
بقي إلا شيخ أولاد خليف ، و شيخ أولاد شعيب و

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

مفتوحة أمام الجيوش الفرنسية ، هذا الأخير الذي قدمت له عدة عروض مغرية مقابل الانضواء تحت راية الفرنسيين لكنه رفض مما أدى إلى وقوع انتفاضات عديدة في الجنوب كان هو بطلها رفقة شريف ورقلة محمد ابن عبد الله و عدد من الزعامات و القيادات المحلية³².

4/ الهولوكوست الفرنسي في مدينة الأغواط 04 ديسمبر 1852 :

بعد كل المحاولات التي قام بها الجنرال لادميرول من أجل إخضاع قبيلة الأرباع عن طريق التفاوض و العروض و التي باءت بالفشل كلها عملت الإدارة الاستعمارية على بث روح النزاع و الفرقة بين القادة و الزعماء من القبائل و شيوخ الزوايا مما أدى إلى زعزعة المنطقة و نشوب اضطرابات في غاية الخطورة في الوقت الذي اشتعل فيه فتيل مقاومة الزعاطشة 1849، وهي كلها معطيات أفنعت فرنسا بضرورة شن حملة على الأغواط التي شهدت اندلاع انتفاضتها و ظهور قيادات مقاومة بها، و كان الاستعمار الفرنسي حريص كل الحرص على احتلال هذه النقطة بالذات لأنها ذات موقع استراتيجي هام وأحد الأعمدة الأساسية للسياسة الاستعمارية ذات الأهداف بعيدة المدى لاحتلال الصحراء الكبرى و جزء كبير من إفريقيا جنوب الصحراء فالأغواط تشكل في نظر الفرنسيين :

مساعدية هذا الأخير الذي بقي معزولا عن فرنسا ابتداء من سنة 1846 بعدما كسب الأمير عبد القادر تأييد أولاد نايل بالجلفة عن طريق سي الشريف بالأحرش و بالرغم من ذلك فإن أحمد ابن سالم بقي مخلصا لفرنسا²⁹، كما لعبت الزاوية التجانية دورا حياديا .

و في يوم 06 افريل قام الجنرال لادميرول بتنحية الخليفة أحمد بن سالم بعد أن اتهمه بالتقاعس و عدم الكفاءة بل اعتبره عائقا حقيقيا أمام التنظيم الحسن للمنطقة و عين مكانه الشريف بالأحرش كما نصب الناصر بن سالم الابن الأكبر للخليفة السابق أغا على الأغواط و قصورها ، في حين أخذ الخليفة السابق الى بوغار رغم كبر سنه و هناك وافته المنية في شهر جوان 1852³⁰.

و هكذا حاولت فرنسا و بالخصوص " الجنرال لادميرول" (Ladmirault) ثم "الجنرال يوسف" (Yusuf) الذي خلفه على رأس شعبة المدينة ثم " الجنرال مونج " إلى الاستعلام و إعداد التقارير لملاحقة القبائل الموالية للأمير عبد القادر في المنطقة الممتدة بين الجلفة إلى جبال عمور و حتى الأغواط جنوبا³¹.

كما قامت بمحاولات مع أعيان و شيوخ الأغواط و بشكل خاص مع قائد الأرباع ابن ناصر ابن شهرة من أجل دفع المدينة إلى الاستسلام و جعلها مدينة

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

10/ منتجات الأغواط الفلاحية و تجارتها تسمح
لفرنسا أن تراقب كل حركات العرب الرحل و إرغام
السكان على الاتصال بالنظام الاستعماري³⁴.

كل هذه العوامل كانت تدركها السلطات الاستعمارية
بشكل جيد ، كما كان يدركها أيضا ابن ناصر بن
شهرة لذلك فان الصراع كان على أشده للسيطرة على
هذه المنطقة، و عليه فان الاستعمار لم يستطع أن
يسيطر عليها إلا بعد أن جيش لها خيرة رجاله و بأعداد
كبيرة ، فقد أحاطت القوات الغازية المدينة من كل
جوانبها و كانت موزعة كما يلي³⁵:

* من الشمال الجنرال يوسف (Yusuf)

* من الشمال الغربي العقيد
تروملي (Trumelet)

* من الغرب الجنرال بيليسي (Pillissier)

* من الجنوب الغربي الجنرال بوسكارين
(Bouskaren)

* من الجنوب الشرقي العقيد بان (Pein)

* من الشرق الرائد موران (Morand)

وهذا تفصيل لأهم القوات التي جهزتها سلطة الاحتلال
الفرنسي من أجل احتلال مدينة الأغواط بالقوة³⁶:

1/ مركز متقدم لجنود الحراسة .

2/ بوابة للصحراء و قاعدة عسكرية يمكن التوسع
منها إلى مناطق صحراوية أخرى.

3/ نقطة استراتيجية متساوية البعد بين الجزائر و
القليعة و ورقلة و قرية من البيض و أولاد سيدي الشيخ
و تسمح بأخذ جبال العمور من الخلف و هي أقرب
نقطة استراتيجية صحراوية إلى مدينة الجزائر .

4/ مركز تموين الجيوش و إيوائها و محطة للمياه.

5/ نقطة مراقبة تجارة الميزاب نحو التل و نقطة ارتكاز
و حماية القوافل مثل معاهدة 1853³³.

6/ قاعدة عسكرية و موقع جيد لكل التحركات.

7/ الموقع العسكري للأغواط يسمح بملاحظة و
مراقبة و تحديد تحركات السكان إلى إفريقيا جنوب
الصحراء .

8/ تشكل الأغواط و بسكرة و بوسعادة و البيض
حزاما للأمن لكل شمال الجزائر .

9/ من الأغواط و في حالة أي عصيان مدني على
بعد 400 كم فان القوات العسكرية يمكن أن تتدخل
في كل الاتجاهات من عين الصفراء إلى تقرت إلى
القليعة.

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

12/ سريتان للفرقة الثانية للصباحية تحت قيادة
"الرائد دولاتور لوندو"³⁷ .

و قد حدثت عدة مواجهات بين تاريخ 21 نوفمبر
و إلى غاية 02 ديسمبر تاريخ الهجوم المكثف و الذي
استعمل فيه الفرنسيون تلك الأعداد الضخمة من الجنود
، و من خيرة الضباط:

03 جنرالات . 06 عقدا . 08 ضباط
برتبة رائد . عشرات الضباط برتب مختلفة
و جرت المعركة الفاصلة من 02 إلى 04 ديسمبر
1852 بهجوم القوات الفرنسية على المدينة و قد تم
ذلك أولا بقصف مدفعي عنيف ، و قد استمات أهالي
المدينة في الدفاع عنها رجالا و نساء ، حيث جرت
حرب شوارع عنيفة استعمل فيها الجيش الفرنسي كل
الأسلحة، حتى السلاح الأبيض .

و بهذا سقطت مدينة الأغواط بعد استماتة عظيمة و
مقاومة عنيدة جدا³⁸ من قبل المقاومين و على رأسهم
ابن ناصر ابن شهرة و الشريف محمد بن عبد الله³⁹ .
حيث جرح هذا الأخير و أخرج ابن ناصر ابن شهرة
ليلا من الحصار المفروض على المدينة دون علم الجيش
الفرنسي⁴⁰ .

ارتكبت فرنسا أبشع الجرائم عند احتلالها للمدينة⁴¹ فهي
هو العقيد بان (PEIN) أحد المشاركين في الحملة
يقول في كتابه رسائل عائلية (LETTRES

1/ فصل قوات الفرقة الأولى و الثالثة و الرابعة
للمدفعية .

2/ فصل الفرقة الثالثة للهندسة .
3/ الخط الخمسون مع كتيبة تحت قيادة " العقيد
جرارد" .

4/ الخط الستون مع كتيبتين تحت قيادة " العقيد
ماركيز دو لينيار" .

5/ الفرقة الأولى من الزوافين مع كتيبة تحت قيادة "
الرائد باروا" .

6/ الفرقة الثانية من الزوافين مع كتيبتين تحت قيادة
كل من " العقيد كليرك" و الرائد موران " و " الرائد
ملافوس" .

7/ الكتيبة الأولى للمشاة الإفريقية الخفيفة تحت
قيادة " الرائد ليبيرت" .

8/ كتيبة للرماة تحت قيادة "الرائد روز" .

9/ فصل من فيلق للرماة من إقليم قسنطينة .

10/ أربع سريات للفرقة الثانية للصيادين إفريقيا
تحت قيادة "العقيد رام" .

11/ سريتان للفرقة الأولى للصباحية تحت قيادة "
الرائد فرانك" .

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

جنودنا على البلدة من كل صوب ... لا يخامرهم أدنى تردد في الفتك بكل من يعترض سبيلهم أو يحاول مقاومتهم مستخدمين كل ما لديهم ... و تم القضاء بالسلاح الأبيض على من تبقى من المقاومين .. " و يقول مرة ثانية : "... المجرة كانت رهيبة و الأزقة مغطاة بالجثث ... كان الجنرال بيليسي (Pélissier) في أتم الابتهاج و الفرح و على جماجم هؤلاء احتفل بالنصر حيث فرشت الزرابي الفاخرة وسط المدينة و تناول عليها غداءه و هنا ضباطه على انجاز المهمة⁴⁶، و مما جاء في مذكرات " النقيب دوبراي⁴⁷ (Du Barail) " : إن الجنرال بيليسي (Pélissier) اتخذ بعد المجرة قرارا بهدم المدينة و اقتلاع نخيلها و ترحيل من بقي من السكان إلى منطقة أخرى في الجزائر⁴⁸، كما يصف الكاتب الفرنسي فرومنتان عند زيارته للأغواط بعد ستة أشهر من المعركة بأنه وجد المدينة ما زالت تفوح في جنباتها رائحة الجثث المتعفنة ، وأن الكلاب تأتي ليلا لنهش أشلائها و يواصل قائلا : " جميع الأملاك المصادرة وضعت مؤقتا في عهدة حارس قضائي أما فيما يخص تلك الغنائم العظيمة من السجاد و الأسلحة و الحلي ... فيمكن القول أنه لم يبق منها شيء في الأغواط... كل البيوت فارغة ، من أقرها إلى أغناها و تخالها مدينة رحل كل ساكنيها⁴⁹. و قد سمي هذا اليوم

(FAMILIERES) " المذبحة كانت بشعة ، الشوارع كانت مغطاة بالجثث ، و حسب أفضل الإحصائيات فإن عدد القتلى قد بلغ 2300 قتيل، ما بين الرجال و النساء و الأطفال، أما عدد الجرحى فلا نعلمه، فقد كان الجنود الفرنسيون مثل القطط ينتقلون من بيت إلى بيت و يطلقون النار دون أي تمييز من حيث السن و الجنس⁴² و ينهبون و يسلبون الأثاث و النقود و الحلي⁴³ و يحرقون المؤونة و لم تسلم حتى الكتب التي في الدور أو المساجد التي دمر اثنان منها و حول الثالث إلى إسطل للحيوانات أما الرابع فقد حول إلى كنيسة أما من بقي حيا من السكان فقد أسروا ، رجالا ، نساء و أطفالا وضع لهم محتشد كبير عانوا فيه الجوع و المرض و المهانة كأهم حيوانات⁴⁴، كما يذكر الملازم مونجا (MANGIN) في كتابه " ملاحظات حول تاريخ الأغواط (NOTES SUR L'HISTOIRE DE (LAGHOUAT أن عدد القتلى وصل إلى 2500 قتيل و بأن عدد الجرحى غير معلوم⁴⁵ و منهم من استطاع الفرار إلى خارج الحصار ، أما أكبر جريمة ارتكبتها القوات الفرنسية فهي جمعها لأعيان المدينة و وضعتهم في أكياس أغلقت عليهم ثم أحرقتهم قرب وادي أمزي ورمت ما يقارب 256 جثة في آبار المدينة، هذه الجرائم المرتكبة يشهد بها الفرنسيون أنفسهم ، فأحد الضباط المشاركين في الحملة يقول : " حمل

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

هكذا سقطت هذه المدينة التي قدمت ثلثي 2/3 سكانها دفاعا عنها و بسقوطها فقد سقطت جزائر أخرى في الجنوب على حد قول الملازم مونجا⁵⁰.

في الذاكرة الشعبية (بعام الخلية) تعبيرا على أن المدينة فعلا خلت من كل ساكنيها.

⁹ -Randon: " Mémoires " 1er Tome Paris 1875 p.107 Voir Aussi : Du Barail: " Mes Souvenirs " T. 2, 4ème éd. Paris 1895 p. 27.

¹⁰ - الجنرال ماري مونج : جنرال فرنسي ولد في نويست بفرنسا في 17 مارس 1796 كان ضابطا في المدفعية الفرنسية سنة 1830 م شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر ، انظم الى فرقة الخيالة ، و نظم أول فرقة للصباحية في الجزائر ، قاد أول حملة استكشافية إلى الأغواط في فيفري 1844 تولى منصب حاكم عام سنة 1848 توفي في بومارد بفرنسا في 13 /06/ 1863 ، كانت مهمته هي القيام بدراسة طبوغرافية للمسافة الرابطة بين المدينة و الأغواط و قد سلمت هذه الخرائط للقوات العسكرية التي احتلت الأغواط سنة 1852. للاطلاع أكثر على تفاصيل الرحلة أنظر في ذلك :

Marey Monge : Expédition De Général Monge 1844, Alger 1846. Et narcississe faucon : Op. Cit. , p414.415

¹¹ المارشال بيجو : ولد بمدينة ليموج 10/15 /1781 امتحن الفلاحة في بداية حياته رغم انتماءه لطبقة النبلاء انخرط في الجيش سنة 1804 شارك في حروب نابليون عين قائدا لمنطقة وهران سنة 1836 خاض الكثير من المعارك ضد الأمير عبد القادر ثم وقع معه معاهدة التافنة 1837 عين حاكما عاما على الجزائر في فيفري 1841 و حتى سنة 1847 ارتكب الكثير من المجازر التي يندى لها الجبين توفي سنة 1849 . أنظر في ذلك :

Narcisse faucon : Op. Cit. Pp 140.141

¹² Mangin: op. Cit. p. 87

¹³ Marey Monge: op Cit p. 138.

¹⁴ - طاقين : بلدة تقع شمال الأغواط وتبعد عنها بحوالي 140 كم وإلى الغرب من الجلفة ، تسمى اليوم بزمالة الأمير عبد القادر

¹⁵ Mangin : op. Cit. p. 88.

¹⁶ Jamil Abu Nasr : Tijaniyya A Sufi ordre in the modern world Oxford university Press , London 1965 .p 70

¹⁷ - لمزيد من المعلومات حول هذه الزيارة أنظر :

Saint Arnand: Sièg D'Ain Madhi. Revue Africaine N°8 ,1864 p.p. 354-485

¹ District, Oasis des Ksour, (Laghouat – El Assafia – Ksar El Hairan – Tadjmout – Ain Madhi – El Houita – tribus El Arbaà – El Harazlia) A.M.G , H227 .

² Mangin. E : Note Sur L'histoire De Laghouat, Ed. Adolphe Jordan, Libraire ; éditeur, Alger 1895, p10.

³ Melia. J : Laghouat ou La Maison entourées Des Jardins, Ed. Plan Nourrit et Cie, Paris, 1923, P22.

⁴ -أوجين فرومنتان : كاتب و رسام ولد في 1820/10/24 بروشيل في فرنسا تلقى تعليما في الحقوق سافر الى الشرق من 1842 و حتى 1846 عاش فترة طويلة بالجزائر و استهوته مناظرها الخلابة فرسم الكثير من اللوحات الفنية في الكثير من المواضيع له عدة كتب من بينها " صيف في الصحراء" كان شاهدا على الكثير من الأحداث و التي أرخ لها توفي بفرنسا بتاريخ 1876/08/27 أنظر في ذلك :

Narcisse faucon : Livre D'or De l'Algérie, Biographies, T1, Paris , 1889, pp291.292

و للاطلاع على الكثير من لوحاته أنظر:

Fromentin. E : Un été Dans Le Sahara, 3eme édition Paris 1856. p. 73.

⁵ -نصر الدين دينيه : اسمه الحقيقي ألفونس إيتيان دينيه ولد في 28

مارس 1861 بباريس دخل الإسلام و سمي بنصر الدين في مدينة بوسعادة التي دفن بها حسب رغبته توفي بتاريخ 24 ديسمبر 1929 من بين لوحاته الشهيرة " سطوع الأغواط " .أنظر : سيد أحمد باغلي: " نصر الدين دينيه الفنان المبدع في الرسم الجزائري " (ش .و.ن.ت ، الجزائر (1975) ص 11 ، 19.

⁶ - Amar Dhina : Contribution à l'étude du nomadisme, Le chameau chez le tribus Arbàa du sud algérien Edition Massignon , institut Français , Paris , 1956 p.32. Voir aussi Mangin : " Note Sur L'histoire de Laghouat " Revue Africaine N° 37, 1893 p. 372.

⁷ George Hirtz: L'Algérie nomade et Ksouriène 1830 - 1954, Ed. Marseille 1989, pp 96.99.

⁸ - يعود أول اتصال لأحمد بن سالم مع الفرنسيين الى شهر مارس

1834 و هذا من خلال رسالة بعث بها الى الوالي العام يعرض فيها خدماته على الاستعمار الفرنسي. انظر في ذلك: جمال قنان: نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر (1830-1914) ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993 ص 92.

تاريخ النشر 2020/12/21

تاريخ القبول: 2020/01/21

تاريخ الارسال: 2018/07/11

³⁴ Mangin : op. Cit. p.172

³⁵ Du Barail : op. Cit. p. 47

³⁶ Trumelet: op. Cit. .p.79

³⁷ الشيء الملفت للانتباه أن فرنسا عند احتلالها لمدينة الأغواط جهزت قوات كبيرة لذلك و هذا لعلمها بحصانة المدينة من جهة و عدم استسلام سكانها بسهولة و لوجود قيادة بها تعلم جيدا فنون القتال ، و هي بذلك احتلت جزائر أخرى بحسب قول أحد القادة الفرنسيين .

³⁸ L. Le Saint, E. Ardant : Fastes de L'Algérie Ancienne et Moderne, Limoge, 1873, P113.

³⁹ لتفاصيل أكثر حول سقوط المدينة أنظر في ذلك الكثير من الدراسات منها:

Randon : op. Cit. p. 114 voir aussi Fromentin : op. Cit. p.85 voir aussi Du Barail : op. Cit. p. 26

⁴⁰ L. Le Saint, E. Ardant : Op. Cit. P114.

⁴¹ في الادبيات الشعبية يطلق سكان المدينة من ذلك الوقت على هذه السنة 1852 التي احتلت فيها المدينة " بعام الخلية "، أي أن المدينة قد خلت من كل ما فيها جراء جرائم الاستعمار، كما يطلق عليها بعام الشكاير (الأكياس) وصفا لإحراق فرنسا أعيان المدينة أحياء داخل هذه الأكياس.

⁴² Pein.M.Th: Lettres Familières Sur L'Algérie, Ch, Tanera , Libraire ,Paris 1871, p371.

⁴³ Ch. A. Julien : Histoire de l'Algérie contemporaine. (Paris – 1964), PP390.393

⁴⁴ Du Barail : op. Cit. p.48

⁴⁵ Mangin : Op Cit, P62

⁴⁶ Journal des marches de la colonne expéditionnaire du sud, G. Péliissier (siège et prise de Laghouat) A.M.G décembre 1852 ; H 214. Voir aussi Randon : op. Cit. p. 114.

⁴⁷ النقيب دوبراي : و هو الذي قتل قاضي الأغواط أثناء هذه الحملة ،

ثم رقي فيما بعد إلى رتبة جنرال . كما رقي الجنرال بليسي قائد الحملة إلى رتبة مار يشال و ذلك كله بفضل ما قاموا به في الأغواط.

⁴⁸ Du Barail: op. Cit. p. 55.

⁴⁹ Fromentin: op. Cit. p.87.

⁵⁰ Mangin : Op, Cit, P62.

¹⁸ Trumelet : Note Sur L'histoire De L'insurrection Dans Le Sud De Province D'Alger en 1864 Revue Africaine, N°26, P342.

¹⁹ Ibid. : P 342.

²⁰ يقول أرنو معلقا على هذه الرحلة أنها ربما الأطول و الأهم بالنسبة للجيش الفرنسي أنظر في ذلك:

Saint Arnaud : Lettres du Maréchal de Saint Arnaud, -1832 – 1854, T1, 2éd, Paris1858,p 517

²¹ Trumelet : Op. Cit.p75.

²² Mangin : Op. Cit. P 95.

²³ Marey Monge: Op. Cit. p. 139.

²⁴ Mangin: Op. Cit. Pp. 95.96.97.

²⁵ بن عودة المازري : طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و اسبانيا و فرنسا إلى آخر القرن 19 ، تحقيق يحي بوعزيز ، ج2، ط1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1990 ، ص 17.

²⁶ يحي بوعزيز : وثائق جديدة حول محاربة الأمير عبدالقادر للشيخ التجاني ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 55 – 56 ، تونس ، ديسمبر 1989 ، ص 228 .

²⁷ الرسالة بتاريخ 27 نوفمبر 1837 .

²⁸ الدكتور واري : كان يعمل مساعد للنقيب دوماس لما عين قنصلا لفرنسا في معسكر في شهر نوفمبر 1837 إلى جانب ذلك كان يمارس مهنة الطب . أنظر:

Dr Warnier : Expédition de l'émir dans le désert. A.M.G, H22

²⁹ Mangin: Op Cit. p 105.

³⁰ بن يوسف تلمساني : موقف التيجانية من الحكم المركزي بالجزائر (السلطة العثمانية الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية)رسالة ماجستير غير منشورة معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1998، ص 225 .

³¹ Journal expédition dirigée par le général de brigade Ladmirault dans le sud de la subdivision de Médéa du 6 Mai au 25 Juin 1849, A.M.G H213.

³² Du Barail : op. Cit. p. 27 Voir Aussi : Randon : op. Cit. p. 76.

³³ هذه المعاهدة موقعة بتاريخ 29 ماي 1853 و هي عبارة عن نصب حماية تضمن للطرفين واجبات و حقوق معينة دون اللجوء إلى الحرب و تنص على دفع أهل ميزاب ضريبة سنوية للفرنسيين تقدر ب 45 ألف فرنك مقابل عدم التدخل في الشؤون الداخلية لهم و استمرار تجارتهم مع المغرب وتونس و من بين شروط الاتفاق أن تحمي فرنسا أهل ميزاب في المدن و التل على أن يتعهدوا بعدم فتح أبوابهم لأعداء فرنسا . و كان هدف فرنسا من توقيع هذه الاتفاقية هو تحييد بني ميزاب من تأييد الثورة في الجنوب للمزيد من المعلومات أنظر:

Koyne : Le Mzab. Revue africaine N23. 1879. P.200